

خطبة

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

- حفظه الله -

يوم الجمعة ٢-١-١٤٣٩هـ

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}

ألقاها فضيلة الشيخ في الإمارات

- تذكر الموت
- أخذ العبرة من انقضاء الأشهر والأعوام
- الاستعداد للسؤال يوم القيامة
- الصيام في شهر الله المحرم
- صيام يوم عاشوراء

[الخطبة الأولى]

قال الشيخ حفظه الله:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

اتقوا الله حق التقوى، فإن أجسادكم ضعيفة على النار لا تقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

عباد الله، إن الله عز وجل خلق الناس لحكمة عظيمة، فلم يخلقهم عبثا، ولم يتركهم هملا، وإنما خلقهم وأحكم خلقهم لحكمة عظيمة، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

وجعل لذلك مكانا خلقه للإنسان، وجعل له أجلا ينقضي فيه، {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ} [البقرة: ٣٦].

وجعل لذلك زمانا، وجعل له انقضاء، وكتب على الأرض ومن فيها الفناء، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} {وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وَيَبِّنْ لَكُمْ مَصِيرَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَنَبِّهْكُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥].

وَأَعْلَمَكُمْ -عباد الله- أنكم تُبْعَثُونَ وتُحَاسَبُونَ، فتنقلون من دار العمل إلى دار الجزاء، {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا {وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا} يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا {يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا} يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ١-٨].

وجعل لكم ربكم في دنياكم عبرًا تذكركم، بها تتذكرون وتعتبرون، ومن تلك العبر: مرور الليالي والأيام، وانقضاء الأشهر والأعوام، {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ} [فاطر: ٣٧].

أولم نعممكم زمانًا {يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ}، والنذير هنا: هو الشيب عباد الله، فمننا من شاب فجاءه النذير في نفسه، ومننا من يرى الشيب في غيره، فجاءه ذلك النذير.

وإن ربنا -يا عباد الله- يقلب لنا الليل والنهار، لنعبر ويعتبر أولو الأبصار، {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} [النور: ٤٤].

وفي مرور الأعوام على الإنسان حجة وبيان، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أعذر الله إلى امرئٍ آخر أجله حتى بلغ الستين».

وإننا -يا عباد الله- ودعنا عامًا هجريًا شهيدًا، واستقبلنا عامًا هجريًا جديدًا، وإن لنا في ذلك أكبر العبر، لمن تيقظ وتفكر، وانتبه وتدبر.

أعوام مرت بنا، طوّثنا ونطويها، عامٌ انقضى من أعمارنا، قرّينا إلى آخرتنا، قد عملنا فيه ما شئنا، وتركنا ما شئنا، ضحكنا وبكينا، ثم ذهب بجلوه ومره، لكن بقي منه -ورب الكعبة- ما أودعناه فيه، من أعمال مُحْصَاة علينا، من خير أو شر.

عباد الله! عباد الله! يقول الواحد متًا: بانقضاء العام زاد عمري سنة، وحقيقة الأمر أن بقاءه في الدنيا قد نقص سنة، فالعمر معدود، والأجل محدود، وما ذهب منه لا يعود، فالأعوام -عباد الله- إنما هي خطوات نمشيها إلى قبورنا، والله أعلم متى تنتهي الخطوات.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
فأعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا
وكل يوم مضى يُدني من الأجل
فإنما الربح والخسران في العمل

والأجل -يا عباد الله- إذا جاء ليس فيه إنظار ولا تأخير، {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١١].

عباد الله! عباد الله! معاشر الضعفاء! معاشر الفقراء إلى ربكم! إن مرور الليالي والأيام، والشهور والأعوام، يذكركم باليقين الذي يتناساه بعضنا، يذكركم بالموت، وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس! يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه».

وتذكّرنا الموت -يا عباد الله- إنما هو علامة خير فينا، ليس لتفسد علينا حياتنا، وليس لتشقى نفوسنا، وإنما لنتنبه إلى آخرتنا، فنستعدّ لموتنا بما يُرضي ربنا، ونكون من أبناء الآخرة، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس» .

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «ارتحلت الدنيا مُدبرة، وارتحلت الآخرة مُقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل».

عباد الله! عباد الله! إنا نرى سرعة ذهاب الأعوام، ونرى تغير أحوالنا، فالفطن منا من اغتنم أحوال قوته بما يُرضي الله عز وجل عنه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سُقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك».

عباد الله! عباد الله! إن كل عاقل منا عند نهاية العام يقول: ما أسرع الأيام! في العام الماضي كنّا نودع عامًا، ونستقبل عامًا، ونتحدث عن مرور الأيام وسرعتها، وها نحن اليوم نودّع عامًا

ونستقبل عامًا، أتدركون -يا عباد الله- معنى هذا الأمر الجَلَل؟ معنى هذا: مرور عام كامل من أعوامنا، مرّ أماننا كأنه لحظات يسيرة، وهذا يذكرنا بحقيقة الدنيا، فالدنيا كلها كأنها زرع يشتد ويقوى، ثم يكون حصيدًا، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: {وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾} [الكهف: ٤٥].

فالدنيا -يا عباد الله- سريعة غرارة، متقلّبة كرزاة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل».

والناس في الدنيا -يا عباد الله- ما بين رابح وخاسر، فالرابح فيها من عرف لها قدرها، وأنها مزرعة للآخرة، وأن العاقبة إلى جنة أو نار، فجعل عمله في فكاكه من النار، والفوز بالجنة دار الأبرار، {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥]، والخاسر -يا عباد الله- من اغتر بالدنيا، وركن إليها، وأنسته الآخرة، فكان له نصيب من قول ربنا سبحانه وتعالى: {أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾} [التكاثر: ١-٢].

عباد الله! عباد الله! إن نبيكم صلى الله عليه وسلم ما كان يخاف عليكم الفقر، ولا نقص الأرزاق، ولكن كان يخاف عليكم السعة في الدنيا، حتى توقعكم فيما يهلككم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فوالله، ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتلهيكم كما ألهمتهم»، وفي رواية: «فتهلككم كما أهلكتهم».

وذلك -يا عباد الله- أن التنافس في الدنيا قد يفتح على الإنسان أبواب الحسد والظلم، قال النبي صلى الله عليه وسلم يومًا لأصحابه: «إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟» فقال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو غير ذلك؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون».

وهذا ما نراه واقعًا بين كثير من الناس يا عباد الله، إذا بسطت عليهم الدنيا يتنافسون فيها، ولربما تقاطع الأقارب بسببها، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء.

عباد الله! عباد الله! لنقف مع أنفسنا وقفة، إن هذه الأعوام التي تمر بنا ونعدّها لن تذهب هدرًا، وسيأسلنا عنها ربنا سبحانه وتعالى في يوم تذهل فيه {كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ} [الحج: ٢]، في ذلك اليوم العظيم سنسأل عن أعمارنا، يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «لن تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه».

فتفكروا عباد الله، وتدبروا في أحوالكم، وأحسنوا سيركم إلى موالكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وتأهبوا للعرض الأكبر، {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: ١٨]، {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩].

فاتقوا الله عباد الله، واجعلوا الدنيا خيرًا لكم وبركة، بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله، وتحقيق التوحيد والعمل الصالح.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

قد دخلتم في شهر الله المحرم، وإن شهر المحرم من الأشهر الحرم، التي قال الله عز وجل فيها: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة: ٣٦].

الظلم -يا عباد الله- من أقبح القبائح، وأكبر الذنوب، حرّمه الله عز وجل في كل مكان، وفي كل زمان، وعلى كل أحد، فالظلم حرام بيننا، لكن حرمة الظلم وقبح الظلم تزداد في الأشهر الحرم، فالواجب على العبد أن يحذر أيّما حذر من أن يقع في الظلم في عمره، ويتأكد ذلك في مثل هذا الشهر يا عباد الله.

- يجب على المسلم أن يجتنب الظلم الأكبر، وهو أن يشرك بالله عز وجل.

- كما يجتنب البدع، فإن البدع من الظلم.
- كما يجتنب كبائر الذنوب، فإنها من الظلم.
- كما يحرص على أن ينزّه نفسه عن صغائر الذنوب.
- كما يحرص حرصاً شديداً على ألا يظلم أحداً من الناس، سواء كان مسلماً أو كان كافراً، ويتأكد الأمر في حق المسلم.

وإن هذا الشهر -يا عباد الله- من مواسم الخيرات، التي تُتال بها الجنات، وإن أمة محمد صلى الله عليه وسلم موعودة بأن تكون نصف أهل الجنة، وذلك بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

فيستحب للمسلم -يا عباد الله- أن يكثر من الصيام في هذا الشهر، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم».

فالصوم في هذا الشهر من أفضل نوافل الصيام، و«من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»، فيستحب للمسلم أن يكثر من الصيام في شهر الله المحرم.

والأفضل أن يفطر بعض الأيام، هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، فالأفضل للمسلم أن يصوم أكثر أيام شهر الله المحرم، وأن يفطر قليلاً من أيامه.

ويتأكد الصيام في يوم عاشوراء، الذي هو اليوم العاشر، الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيامه، وكان صلى الله عليه وسلم يُخبر أنه يكفر سنة، صامه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، وعندما هاجر إلى المدينة، ووجد اليهود يصومونه، لأنه يوم نجى الله فيه موسى وقومه، فصامه موسى، فهم يصومونه، فصامه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه، لأننا -معاشر المؤمنين- أحق بموسى عليه السلام من اليهود، صامه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مات، وفي آخر سنة صام فيها عاشوراء قال: «لإن عشت إلى قابل لأصومن التاسع»، أي مع العاشر، فصوموه عباد الله، واحرصوا على صيامه، لعلمكم تفلحون.

[الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء]

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمرٍ عظيم شريف، فبدأ بنفسه، ثم تَتَى بملائكته، فقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صَلَّى الله عليه بها عشرًا». فاللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صَلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض عنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين. اللهم اجعلنا ممن رَضِيتَ أقوالهم وأعمالهم وقبَلْتَهُما، اللهم اجعلنا ممن رَضِيتَ أقوالهم وأعمالهم وقبَلْتَهُما. اللهم ارض عنا يا كريم، اللهم ارض عنا يا كريم، اللهم ارض عنا يا كريم.

اللهم إنا عباد من عبادك، ضعفاء قد أذنبنا وأكثرنا، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نوذي فريضة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهم فأرحمنا واغفر لنا، وأمتنا من عذابك يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا ولذرياتنا ولجيراننا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين. اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، كما جمعتنا في هذا المكان المبارك، في هذه الصلاة المباركة، نسألك أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا وأحبابنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهم لا تحرم منا أحدا، اللهم لا تحرم منا أحدا، اللهم لا تحرم منا أحدا.

اللهم إنا نعوذ بك من أن تغضب علينا، اللهم إنا نعوذ بك من أن تغضب علينا، اللهم إنا نعوذ بك من أن تغضب علينا.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وأوسع لنا في دُورنا، وبارك لنا في أرزاقنا يا رب العالمين. اللهم يا ربنا، بارك في ولاة أمر المسلمين، ووفقههم لما تحب وترضى، واجعلهم رحمةً على رعيّتهم في جميع ديار المسلمين.

اللهم يا ربنا، نسألك أن توفق رئيس الدولة إلى ما تحب وترضى يا رب العالمين، اللهم قربه إلى الخير وقرب منه الأخيار يا رب العالمين، اللهم اجعل بطانته بطانة صالحة يا رب العالمين، اللهم وشّد عضده بنائبه وولي عهده يا رب العالمين.

اللهم يا ربنا، اجعل هذا البلد مباركا، ووسّع على أهله بالخيرات يا رب العالمين، وزد أهله ألفةً وتمسّكا يا رب العالمين.

اللهم من أراد هذا البلد بسوء ومكّر لأهله اللهم فأشغله في نفسه واكفنا شرّه بما شئت يا رب العالمين.

إلهنا، ما علمته منا أو في ولاية أمرنا أو في بلدنا من خير فثبّتنا جميعاً عليه يا رب العالمين، وما علمته من سوء اللهم فاكشف لنا سوءه وارزقنا التوبة منه يا رب العالمين.

ربنا آتتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.